

# المرض القاتل



الكاتبة: اسراء توفيق سويلم

# المقدمة

لا أحب كتابة المقدمة لأنني  
أعلم

أن الجميع يعتبرها مملة  
والأغلب لا يقرأها

يمكنكم البدء بالرواية

# الاهداء

إلى أخي وعروق قلبي

وجرحي

إلى الذي ألمّني الحياة به

إلى سندي ونبض قلبي

إلى الذي كان الأب

والصديق والحياة لقلبي

إلى صندوق أسرارِي

إلى كل الحب

"أخي علي"

لعله كان أسوأ يوم في  
حياتي، ذلك النهار عندما  
ذهبت إلى الطبيب لفحص  
بعض التغيرات التي شعرت  
بها، لأخرج من عيادته في  
حالة نفسية لا أحسد عليها.

نحن نسمع بالأخبار السيئة  
عن الأمراض والحوادث  
التي تحل بالآخرين، ولكن  
نادرًا ما نفكر أنها ستصيبنا  
شخصيًا.

وحتى لو خطر على البال  
أنا قد نصاب بمرض  
عضال في حياتنا، ونحاول  
أن نتخيل ردود فعلنا  
الممكنة، فإن ذلك يختفي  
عندما يصدنا الواقع.

وهذا ما حصل مع أخي؛  
حيث قال لي الطبيب يوماً  
بعد دراسة الفحوص أن  
أخي مصاب  
ب((ساروكوما)) وهو  
مرض سرطان في العظام

بدأت الأفكار تعج بي  
وتتضارب في رأسي  
وبدأت أتساءل عن مصيره  
وكم من الأيام بقيت له في  
هذه الدنيا.



عندما اخبرته صدم وقال: -

تُرى هل سأتمكن من رؤية  
أهلي وأصدقائي؟

وكم سأعيش بعد ذلك؟

وكيف لي أن أقضي الأيام  
الباقية لي في هذه الحياة؟

كل هذه الأفكار كانت تدور

في رأسي أنا أيضا

وتشغل بالي ليل نهار

كنت أعتصر من الألم

يقول أخي ....

أول شيء فعلته هو تجديد

وصييتي.

وأجزم بأن آثار الصدمة قد

امتدت إلى جميع المحيطين

بي؛ فمريض السرطان

يعاني الداء والدواء

والأهل يعانون ألم المصيبة  
وهول الفجيرة  
إضافة إلى أن هذا الداء  
وهو في الحقيقة مئات  
الأنواع المختلفة في  
ضارته وخطورتها  
وإمكانية علاجها  
يبقى مفهومًا في مخيلة  
الكثيرين على أنه حكم  
بالموت لا أكثر.

ولكن مهلاً، فما بين طرفة  
عين وانتباهها يغير الله من  
حال إلى حال.

لقد حدث تحول في مسار  
تفكيري إلى النقيض فبينما  
كنت أجري الفحوص وأهم  
بمغادرة عيادة الطبيب

أعطاني الطبيب بعض  
الكتب باللغة الإنجليزية  
عن هذا المرض لقراءتها  
ومعرفة بعض المعلومات  
عنه.

ورويّدًا رويّدًا بدأ الأمل  
يدب في نفسي  
وكنت كلما تعمقت في  
القراءة، زادني الأمل قوة  
وتفاؤلاً

فالفكرة المسبقة التي كانت  
لديّ عن هذا المرض، مثلي  
مثل الكثيرين من الناس

غير المختصين والذي  
حماهم الله من رؤيته في  
أقاربهم، هي أنه قاتل ولا  
ينجو منه أحد.

وهذه الفكرة مردها في  
المقام الأول الجهل، ولكن  
من خلال القراءة، عرفت  
أنه يمكن الشفاء من بعض  
أنواع هذا المرض وينسب



كبيرة، كما أن معنويات  
المرء من أهم العوامل التي  
تساعد في التعافي.

لقد رفعت القراءة عن هذا  
المرض فعلاً من معنوياتي  
وبدأت الإيجابية تراود  
نظرتي للحياة مرة أخرى.

وبدأت أتكيف مع استخدام  
كلمة المرض الخبيث  
والعلاج الكيماوي  
والاشعاعي  
ولا أجد غضاضة في  
تسمية الأشياء بأسمائها

وعلى يقين دائمًا بأن  
"لكل داء دواء بإذن الله"

أعود لي مجددا... .

أنا لم أكن على أمل من قبل  
كان يخطر ببالي كل  
الأشخاص الذين احببتهم  
بصدق وفقدتهم بأبشع  
الطرق

ودار ببالي هو ((أخي))  
الذي أحببته

ولطالما كنت أميزه عن  
البقية من اخوتي

خفت كثيراً وبكيت كثيراً  
في كل مرة كان يذهب  
للعلاج

كنت أشعر بالألم عوضاً  
عنه

وكانني أنا من يحرق  
جسمي بالعلاج

لم يكن الأمر سهل عليّ  
دخلت بحالة من الاكتئاب  
ولكن عندما سمعت كلامه  
الذي قاله من قبل

شعرت

بالأمل الذي شعر به هو  
وبدأت أعمل على تحفيزه

قلت في داخلي لن أتخلى  
عناك وانت لن تتركني أبداً  
فإن كان العلاج لا يجدي  
نفعاً !!

دعائي لك وصلاتي  
ستشفيك يا أخي

قال ربي: -

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي  
فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ  
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ "

وأنا لا أقصر بدعائي لك  
أبداً، ولدي ثقة تامة بالله أنه  
سيستجيب لي.



بقي الأمل بي، وبقيت أهتم  
به وأدعو له، ولم يحطم  
عزيمتي شيء

كان هو المحفز لي بكل  
شيء  
كنت أعمل من أجل ان أراه  
سعيد

أصبحت أبحث كثيرا عن  
هذا المرض وكيفية علاجه  
بالطرق الطبيعية  
لم أتعب ابدا من البحث

بقيت أعمل طوال الليل  
والنهار

وبقي الامل بي

إلى أن مرض كثيراً وتعبت  
نفسيته

ونحن نتكلم عن نفسية  
مريض سرطان وليست  
نفسية شخص سليم  
ونفسية المريض لها دور  
كبير في المرض

لم أتوقع بيوم أني سأواجه  
هذه الكلمات: -

"من المحتمل ان تفقديه"  
بقيت صامته كأن أحد  
صفعني على وجهي  
لا اعلم أكان الصمت ألم أم  
صدمة لما سمعت

صرخت.....وبكيت كثيرا

قلت

اريد الارتقاء بحضنه

كعادتي

الآن احضروه لي

هيا احضروه

وكطفلة سرقت دميتها

المفضلة

أنوح وأنوح وأعتصر ألم

وإذا بيد أمي والدمعة في

عينها تقول: -

هو لم يمت أنت تميتينه

بيكائك

لا تذكرين حين قال لك في

ذات يوم ....

"لا تبكي فدموعك تقتلني  
أكثر من هذا المرض!"

نظرت اليها باندھاش  
مسحت دموعي وقلت: -  
لا أستطيع العيش بدونه أبدا

أرجوك لا تسمحي له  
بمغادرتنا

كنت أشعر بالألم أمي التي  
كانت تحاول كتمه  
والتي كانت عينيها تخبرني  
بهذا الألم  
تركت الجميع وذهب  
وعند ذهابي سمعت أختي  
تقول: -

إنك قلت مسبقا بأنه لا يمكنه  
المغادرة؛ لأن دعائك  
يحفظه لك



نعم

تذكرت أنا دائما ادعو له  
ولكن لا أعلم ماذا حصل لي  
لم أعلم أنني سأرى هكذا يوم  
صحيح انه كان مرهق من  
قبل ولكن ليس لهذا الحد  
فهذه المرة هو مرهق كثيرا  
لدرجة انه سيبقى في  
المستشفى

نمت وأنا أبكي واحتضن  
صوره

تألمت كثيرا في هذا اليوم  
واستيقظت في الليل  
كتبت له رسالة  
(مكتوبة بالعامية)  
كان نصها: -

"أخي قرة عيني

مو قلتلي مارح اتركك  
بعمري يا ضي عيوني 🙄🙄🙄  
طيب هلا أنا شو أسوي لما  
اكتشفت انك رح تتركني  
مثلهم يا حبيبي 🙄🙄🙄 طب أنا  
شو بسوى بهاي الحياة  
بدونك 🙄🙄🙄 مين بدي أسند  
راسي عليه وأشكيلوا همي  
من بعدك 🙄🙄 مين بدو يحضني  
ويمسح دموعي غيرك 🙄🙄

مين بدو يغمرنى بحنانو 🥺🥺🥺

ليش هيك بتعمل فيني 🥺🥺🥺

قلتلني رح تكون منيح وهلا

بسأل الدكتور بيحكيلي

أخوك ميت طيباً 🥺🥺🥺

كيف الانسان يعيش بدون

قلبو اه رح تتركني يا قلبي

وتروح 🥺🥺🥺 رح تخذلني مثل

ما عملو من قبلك 🥺🥺🥺 انت

وعدتني ما تتركني صح

والوعد عهد والعهد عهد  
ربنا

لهيك ما تروح الله بحاسبك  
اذا ما بتوفي بوعدك اللي 🙄🙄  
والله بحاسبك 🙄🙄

بتحكيلي ادرسي طيب أنا ما  
بقدر بدونك

بفتح كتابي وبلاقي بدل  
الكلمات عيونك 🙄🙄🙄

بترجاالك يا الله ما تفقدني  
اياه ما ضللي غيره والله ما  
ضللي غيره 🙏🙏🙏🙏

يارب ما حدا بي قدر يعمل  
شي غيرك يربي 🙏🙏 يا رب ما  
تحرمني اياه يا الله

اللهم ارحمه برحمتك يوم لا  
ينفع دواء الطبيب ولا بكاء  
الحبيب ولا دهشة القريب 🙏

بين كل حرف من هذه  
الرسالة كانت دموعي  
كالمطر

أشعر أنني ولدت من رحم  
المعاناة

عدّ لي يا أخي  
فبعدك أصبح قاتلي  
أصبح القهر كحلة لعينيّ  
مكسورة الكلمة عشفاي  
وجع فراقك هدّ كتافي

من بعدك صارت  
الحرقة بقلبي مزروعة



قالو لي ما رأيك بأن تذهبي  
الى المستشفى وتظرين له  
اجبت بحرقه قلب:-

لا أنا لا أقوى على رؤيته  
أتألم

أتعلمون ما هو أفسى أنواع  
الألم؟!!

أن ترى حبيبك يتألم وأنت  
عاجز عن فعل شيء

غيابك صار صدمة  
قلبي تملئ بالعتمة يا أخي

يقتلني الشوق اليك يا قرة  
عيني

قلبي من بعدك يحترق  
عدّ لي

أنا لمن سأبكي من بعدك  
من سيحتضنني ويقول لا  
تبكي إن دموعك تقتلني  
أنا من قتلت الآن  
أيهون عليك ألمي  
أرجوك عدّ لي

أيها الليل ارحم حالي  
أنا كيف سأنام وأنت تتألم  
دون أن تتكلم

اه ه ه ه ه ه ه يا أخي  
كم هو مؤلم غيابك

بعد مرور فترة  
من الدموع وقيام الليل  
والدعاء المستمر في الليل  
والنهار  
قال الطبيب انا هناك تحسن  
على حاله  
الحمد لله

عندما سمعت هذا الخبر  
شفت من معظم أوجاعي  
عاد النبض لقلبي من جدي  
خبر رد في جميعنا الحياة  
بعدما كنا سنفقد الأمل

أقر الطبيب أن يعود الى  
البيت ولكن مع جرة  
الأكسجين

أنا صدمة لأن الأكسجين  
ولكن المهم انه سيعود للبيت



لا أعلم ما قد حدث حين  
رأيتَه

بكيت دون أن تطلب  
دموعي مني الأذن  
عندما أحضروه بسيارة  
الإسعاف...

بعد أن هدأت واخفيت  
دموعي وغسلت وجهي  
وذهب الجميع من عنده  
ذهبت لأراه

ولكن استوقفني أبي  
قائلاً:-

لا تقترب منه كثيراً لأن  
ذلك يؤذيهِ

دهشت مما قال، تركني أبي  
وذهب

قال أخي الثاني: -

ما بك لماذا انت مصدومة  
هكذا؟!!

قلت له وأنا أعتصر المأ  
أتعني أنني لا أستطيع أن  
أحتضنه بعد كل هذا الغياب  
بعد أن مزق الحنين قلبي!!!

أنتم ماذا تقولون !!  
وعدت للبكاء مجددا  
قال لي لا تذهبي عنده وأنت  
تبكي

فنفسيته ستتعب وهذا  
سيرهقه كثيرا  
قلت: -

نعم لن أذهب هكذا

عدت مجددا لأغسل وجهي  
وضعت القليل من المكياج  
لعله يخفي ما بي من ألم  
واحتراق

والآن قتلتني اللفة لرؤيته  
سأذهب وسأحتمل عدم  
الاقتراب منه

عندما دخلت..

نظر الليّ باستغراب

لا أعلم لما صدم عندما

راني

هل انا أصبحت أثير الشفقة

لهذا الحد

نظر الي والوجع ملئ قلبه

قال: -

لماذا تفعلين بنفسك هكذا

قلت: -

ماذا أفعل

قال: -

ألا تتناولين الطعام انت

فجسمك أصبح نحيل جدا

قلت: -

لا انا اتناول الطعام ولكن  
ليس كل يوم

قال: -

ووجهك لماذا هو هكذا  
ممتلئ بالبثور

وحول عينيك هالتيين  
شديديتين السواد  
ألا تنامين أنت؟!!



قلت:-

أنا على ما يرام لا تقلق

قال:-

أنت تكذبين، فعيونك تكشف

لي كل شيء

أنت لا تعرفين الكذب، لماذا

تكذبين عليّ وانت تعلمين

أني سأكشفك

قلت: -

ودون أنا أدرك أن دموعي  
ستهطل

أنت من فعلت بي هكذا  
عاهدتني أن تبقى بجانبني  
وأن لا تتركني أبداً  
والآن أنت من أخلف بوعدك  
أولاً

أنت تعلم مما احترق أنا

تعلم أن الفراق أصبح نقطة

ضعفي

بعدهما فارقتني هي

وصمت

لأول مرة أراه يبكي

عندما نزلت دمعة من عينيه

على خديه الورديتين

و عندما تلونت عيوننه الشهل  
الى اللون القريب من  
الخصار

ونظر اللي وهو يشير أنه  
ليس باليد حيلة

وكان أحدا صفعني بقوة  
نزلت وجلست، وضعت  
رأسي على صدره  
وقلت: -

أنا أسفه، وبقيت أعتذر  
وهو يقول لا أنت لم  
ترعيني بكلامك  
هذه فقط دموع اشتياق لك

قلت: -

أنا أيضا قتلتني الشوق

ونظرت اليه

وقلت: -

أعطني وعد أنك لن تتركني

ابدا

بقي صامت

الى أن أنت أُمي

وقالت: -

أخرجني يجب أن يرتاح

تركته وذهبت

بكيت وبكيت حتى نمت

والألم يقتلني وقلبي يشتعل

مر يومين على وجوده  
في الليل  
طلب مني اخي ان أتناول  
معه الطعام وأن أطعمه  
بيدي  
وذلك كان في يوم الأربعاء



كان قد أحضر الوجبات  
السريعة من أجلي  
ولكنني رفضت أنا أتناول  
الطعام  
فقط أردت أن أطعمه  
أمسكت بالصحن وبدأت  
أطعمه بكل سرور

في يوم الخميس ذهبت  
للمدرسة وأثناء الدوام  
أرهقت كثيرا وكنت قد  
شعرت بالتعب

وكان عليّ اختبارين  
والاثنين لم أعرف انا أجيب  
وشعرت فجأة باختناق

وانا في طريقي للمنزل  
كنت أقول في ذهني ..  
الآن سأرتاح وسيذهب كل  
الحزن الذي بداخلي عندما  
أراه

وعندما وصلت المنزل  
سألت عنه

وإذا أختي تقول لي ما حدث  
ألا وهو: -

" قالت إنه تعب كثيرا  
وأغمى عليه

وبدا أبي يحاول إيقاظه  
ولكن لم يستيقظ

وأتى الإسعاف وأخذه  
وقال الطبيب ان الاكسجين  
نقص كثيرا وأنه سيبقى  
بالمستشفى الى أن تأتي  
الجرعة الثانية من العلاج"

كانت تتكلم وانا أبكي  
أتشعرون بصفعة الخذلان  
التي شعرت بها أنا

لقد كنت على أمل ان أراه  
وفجأة لا القاه  
ماذا أفعل الان  
أنا حقا أموت

نظرت الى الجميع بصمت

صعدت ودخلت غرفتي  
وبكيت كثيرا  
وأمسكت القلم والدفتر  
وكتبت كل ما أشعر به  
فانا لا سبيل لراحتي غير  
الكتابة  
هي أصبحت روتين يومي  
لي

وانا اعتدت ان أكتب بكل  
احوالي

بفرحي وحزني

وعندما انتهيت

ذهبت لأبكي على سجادتي

راكعة راجية من الله أن

يشفي أخي



بعد مرور فترة  
طلبت من أبي أن أذهب  
لزيارته  
وعندما ذهبت لا أعلم كيف  
أعطاني الله الصبر ولم  
أبكي

كان لون يديه ووجهه أصفر  
كصفار الشمس

وكان يظهر عليه علامات  
التعب

وكان ينظر اليّ بطريقة  
غريبة

استجمعت قوتي قائلة

كيف حالك؟؟

قال:-

الحمد لله بخير

وأنت؟

أجبت بخير ولكن ينقصني

أنت

توقف عن الحديث لأن  
السعال لا يفارقه وهو لا  
يستطيع ان يتكلم كثيرا  
بسبب الاكسجين  
ولأن رئتاه متعبة من  
الاشعاع

ذهبت ورفعت عن قدميه  
الغطاء

بدأت بعمل حركات دائرية  
من الماساج له

وقال إنه ارتاح كثيرا

سررت كوني استطعت أن  
أفعل شيء ليرتاح

وبعدما انتهيت

امسكت بيديه وقالت:-  
أنت ستعود أفضل من قبل  
أنا واثقة من ذلك  
وذهبت

في الصباح أخبرنا الطبيب  
بأن حال أخي تقدم كثيرا  
فرحت كثيرا وكانت فرحتي  
لا توصف  
فهل لهذه الدرجة لدي تأثير  
عليه

الى هنا توقفت الاحداث  
أسأل الله أن يشفيك  
وان يعيدك الي

كانت أهم الكلمات أن نفسية  
المريض هي كل شيء  
ويجب على الأشخاص



الذين يوجد بجانبهم مريض  
أن يدعموه نفسياً

فالعلاج الحقيقي هو الدعم  
النفسي

شكرا لكل من قراء كلماتي  
ولكل من دعا لأخي